

مكانة العمل التطوعي في القرآن الكريم

براء عابد ذيبان العكيدي ، إشراف: أ.د عمر مجيد عبد العاني ، أ.د محمد طالب مدلول الحسيني

مستخلص:

للعمل التطوعي أهمية كبيرة في حياتنا، على الناحية الشرعية من خلال الأجر المترتب عليه، أو الخدمة لسدّ حاجة الناس، ولأهمية التطوع سأتكلم عن بيان شيئاً من مكانة العمل التطوعي في القرآن الكريم من خلال تقسيم البحث إلى سبعة مطالب أُبيِّنُ في كل مطلب شيئاً من مكانة التطوع في القرآن الكريم، لشحذ الهمم وحتى لا يفوتنا هذا الخير العظيم، وكذلك تطبيقاً لما جاء به ديننا الحنيف ولتحقيق التكافل في مجتمعاتنا.
الكلمات المفتاحية: التطوع، مكانة، القرآن الكريم، عمل .

The value of volunteer work in the Holy Quran

By: Baraa Abid Thiban AlEkaidy , Supervision: Prof. Dr Omar Majeed Abd AlAni
Prof. Dr Muhammed Talib Madlool Alhussainy

Abstract :

Volunteer work is of great importance in our lives, on the legal side, through the wages entailed on it, or the service to meet the needs of people, and for the importance of volunteering, I will talk about explaining something of the status of volunteer work in the Holy Qur'an by dividing the research into seven demands. In the Noble Qur'an, to sharpen our resolve and so that we do not miss this great good, as well as in application of what our true religion has brought and to achieve solidarity in our societies.

Volunteer/value/The Holy Quran /WORK .

ومن يطوع بالياء وجزم العين، وتقديره: يتطوع، إلا أن التاء أدغمت في الطاء لمقاربتها، وهذا حسن؛ لأن المعنى على الاستقبال والشرط والجزاء، وقوله: ﴿فَاتَّ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ أي: مجاز له بعمله، ومعنى الشاكر في وصف الله: المجازي على الطاعة بالثواب، ﴿عَلَيْمٌ﴾ بنية المتطوع.⁽⁴⁾

وفي الوجيز أن المراد بالتطوع: فعل غير المفترض عليه من طوافٍ وصلاةٍ وزكاةٍ وطاعةٍ ﴿فَاتَّ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ مجاز له بعمله ﴿عَلَيْمٌ﴾ بِنَيْتِهِ⁽⁵⁾.

وهذا القول يقتضي أن نفهم أن الشاكر أصابته نعمة من المشكور، فما الذي أصاب الحق هنا من تكرار الحج؟ إن المؤمن عندما يؤدي ما افترضه الله عليه فهو يؤدي الفرض، لكن عندما يزيد بالتطوع حبا في النسك ذاته فهذه زيادة يشكره الله عليها، إذن فالشكر من الله عَزَّ وَجَلَّ يفيد أن نعمة ستجيء، والحق سبحانه وتعالى حين يفترض على عبدا كذا من الفروض يلتزم العبد بذلك، فإذا زاد العبد من جنس ما افترضه الله عليه، فقد دل ذلك على حبه للتكليف من الله، وإذا ما أحب وعاش وتعلق بالتكليف من الله بدون أن يطلبه الله منه

(4) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1994م، (1/ 243).

(5) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1415 هـ، (1/ 140). ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للبعوي، (1/ 193).

مكانة العمل التطوعي

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجدها مليئة بما يؤكد للجميع عناية القرآن الكريم بالعمل التطوعي وتهيئة النفوس له من خلال بيان مكانة العمل الذي يقومون به وبيان فضيلة العاملين به، ولهذا الموضوع أهمية كبيرة في حياتنا من لكونه يعد في الدول التي ينشط فيها عوناً للحكومات في ما تتلوكؤ به من خدمات، كما أنه يحقق التكافل في مجتمعاتنا، فضلا عن الأجر المترتب عليه.

المطلب الأول:

الخيرية في العمل التطوعي

لقد رغب الله سبحانه وتعالى عباده وفي أكثر من موضع على فعل الخير فقال تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾⁽¹⁾ أي: من طاعة وعمل صالح، وقيل: أراد بالخير المال يعني صدقة التطوع، لأن الزكاة تقدم ذكرها.

﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء من قليل الأعمال، وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات، وأعمال البر، وزجر عن المعاصي والسيئات⁽²⁾

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾ قال الحسن البصري (ت: 110هـ): يعني به الدين كله، والمعنى: فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة ونوع من الطاعة. وقرأ حمزة

(1) سورة البقرة، من الآية 110.

(2) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، (ت: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، (1/ 71).

(3) سورة البقرة / من الآية 158.

المجتمع بأسره، فالمعنى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أي: الذي لا يأتي منه فساد أبداً، والخير: كل ما تأمر به التكليف المنهجية الشرعية من الحق تبارك وتعالى⁽⁶⁾، أي: (افعلوا ما هو خير، وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة لأنه ورد مطلقاً، وقيل: المراد بالخير هنا المندوبات. ثم علل ذلك بقوله: لعلكم تفلحون أي: إذا فعلتم هذه كلها رجوتم الفلاح في الدنيا والآخرة)⁽⁷⁾.

وفي قوله تعالى ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أمر بإسداء الخير إلى الناس من الزكاة، وحسن المعاملة كصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي جاء بها النبي ﷺ من ربه عز وجل، وهذا ﴿الْخَيْرَ﴾ مجمل بيّنته وبيّنت مراتبه أدلة أخرى⁽⁸⁾.

وقال جل في علاه: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال ابن عباس: الخير: صلة الرحم ومكارم الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة⁽⁹⁾.

(والظاهر من قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أن الزيادة على الواجب، إذا كان يقبل الزيادة، خير

(6) ينظر: الخواطر: للشعراوي، (16 / 9946).

(7) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: 1250هـ)، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ، (3 / 556).

(8) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: 1393هـ)، نشر: الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30 (الجزء رقم 8 في قسمين)، (17 / 346).

(9) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 5، (3 / 352).

ويلزمه به بل حبه إليه ورغبه فيه، فيستحق أن يشكره الله عليه، وشكر الله للعبد هو عطاء بلا نهاية⁽¹⁾.

وشكر الله العبد بأحد معنيين: إما بالثواب، وإما بالثناء. والمراد - والله اعلم - بـ ﴿عَلَيْهِ﴾ في هذا الموضع هو علمه سبحانه وتعالى بقدر الجزاء الذي للعبد على فعل الطاعة، أو بنيته وإخلاصه في العمل. وقد وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن، لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل والقصد، فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل، وذكر العلم باعتبار القصد⁽²⁾.

وقال بعض المفسرين أن معنى تَطَوَّعَ أي: زاد برا بعد الواجب، فجعله عاما في الأعمال، وقال بعضهم: يقصد به من تطوع بحج أو عمرة بعد حجة الفريضة، ومن لم يوجب السعي قال: المعنى من تطوع بالسعي بينهم، وقيل: المراد تطوع خيراً في سائر العبادات⁽³⁾.

وأيضاً نجد الحظ على عمل الخير في قوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾⁽⁴⁾ بأنه ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع⁽⁵⁾.

والخير كلمة عامة تشمل كل أوامر التكليف، لكن جاءت مع الصلاة على سبيل الإجمال، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالخير - إذن - كلمة جامعة لكل ما تؤديه وظائف المناهج من خير المجتمع؛ لأن المنهج ما جاء إلا لينظم حركة الحياة تنظيمياً يتعاون ويتساند لا يتعاند، فإن جاء الأمر على هذه الصورة سَعِدَ

(1) ينظر: تفسير الخواطر: للشعراوي (ت: 1418هـ)، (2 / 672).

(2) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر - بيروت، 1420 هـ، (2 / 68).

(3) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (1 / 230).
و تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (1 / 472).

(4) سورة الحج، من الآية 77.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (12 / 98).

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى طائفة من أهل الكتاب بأنهم يسارعون في الخيرات، فقال تعالى: ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁶⁾ ومعنى يسارعون في الخيرات، أي: يسارعون إليها ويرغبون في الاستكثار منها، والمسارة مستعارة للاستكثار من الفعل، والمبادرة إليه⁽⁷⁾.

المطلب الثاني:

تسمية العمل التطوعي بـ

ومن مكانة العمل التطوعي أن جعله الله من البر، وهي منزلة عالية، ورغبة كل ذي لب، والبر: هو (الصدق والطاعة)⁽⁸⁾، ومن معانيه: (الانساع في الإحسان إلى الناس)⁽⁹⁾، وشرعا: (البر - بكسر الباء - لغة: التوسع في الخير، مشتق من البر بالفتح وهو مقابل البحر في تصور سعته كما قال الراغب (ت: 502 هـ)⁽¹⁰⁾، وشرعا: هو ما يتقرب به إلى الله تعالى من الإيمان والأخلاق والأعمال الصالحة)⁽¹¹⁾.

وقد حثنا ربنا جل في علاه على البر، وبصيغ عديدة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾⁽¹²⁾ حيث جعل البر من صفات المتقين، وأن العبد لن يبلغ درجة البر حتى يقوم بإنفاق ما يجب من المال وغيره، قال تعالى:

من الاقتصار عليه، وظاهر هذه الآية العموم في كل تطوع بخير، وإن كانت وردت في أمر الفدية في الصوم، وظاهر التطوع: التخير في أمر الجواز بين الفعل وتركه، وأن الفعل أفضل⁽¹⁾.

فإن الله سبحانه وتعالى يكافئ العبد ويزيده من فضله سبحانه فهو الكريم، والقرآن شاهد وحافل بكثير من الآيات التي تضمن الجزاء لفاعل الخير في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽²⁾.

ومما لا شك فيه أن التطوع بمختلف أشكاله باب واسع من أبواب الخير التي يجازي عليها ربنا جل في علاه بما شاء من الحسنات، ورفعته الدرجات، وغير ذلك من الآيات كثير مما يحثنا على المسارعة والمنافسة بعمل الخير.

وقد حثنا القرآن الكريم على المسارعة في عمل الخيرات، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾⁽³⁾ أي: بادروا إلى الانقياد إلى الطاعات واتباع الحق والخضوع لمن جاء به أينما ظهر مرغمين تلك النفس الأمارة؛ لأن الأجل غير معلومة فالبدار البدار؛ انتهازا للفرصة، وحياسة لفضل سبق والتقدم⁽⁴⁾، ومن معاني الآية أيضا: ابتدروا كل نوع من أنواع الخير بالعمل ولا تتباطؤوا⁽⁵⁾.

(1) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، (2/ 192).

(2) سورة الزلزلة، من الآية 7.

(3) سورة البقرة، من الآية 148.

(4) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لابن عجيبة، (2/ 258).

(5) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (ت: 1354 هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12 جزءا، (2/ 19).

(6) سورة آل عمران، من الآية 114.

(7) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (4/ 58).

(8) لسان العرب: لابن منظور، حرف الراء، فصل الباء الموحدة، (4/ 51).

(9) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية، (10/ 151).

(10) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، (ص: 114).

(11) تفسير المنار، (2/ 89).

(12) سورة البقرة، من الآية 189.

التي حثنا ربنا عز وجل عليها، ﴿وَتَسَوْنَ﴾ معناه تتركون أنفسكم⁽⁸⁾

ومع أن الخطاب هنا خاص لبني إسرائيل، إلا أنه تمتع خصوصيته من عموميته، وبهذا يكون الخطاب لكل من يحسن القول، ولا يحسن العمل، ويندب الناس إلى الخير، ويأمرهم به، ولا ينظر إلى نفسه، ولا يحملها على أخذ حظها من هذا الخير الذي يدعو إليه... وفي ذلك ظلم للنفس، وخسران مبین⁽⁹⁾، وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (أتأمرون الناس بالبر أي: بما فيه الله رضا من القول أو الفعل، وجماع البر كل ما فيه طاعة لله تعالى.

والهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم ﴿وَتَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي تتركونها من البر كالمنسيات، والمعنى تخالفون ما تأمرون به من ذلك إلى غيره. وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ تبيكت، مثل قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول بالعمل، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفتنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول، لأن العقول تأباه وتدفعه⁽¹⁰⁾.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾⁽²⁾.

وذكر الماوردي (ت: 450 هـ): ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته في الدنيا والآخرة⁽³⁾، أي: تعاونوا على فعل الخيرات من مساعدة المحتاجين والتطوع لخدمتهم طلبا لرضا الله عز وجل وغير ذلك من أبواب الخير، وترك المنكرات فهي الداء، والعزم على تركها دواء⁽⁴⁾.

ومقابل مدح الله لفاعلي البر فقد ذم أقواما لا يأتون البر، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَّجِرُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾⁽⁵⁾، وقال تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽⁶⁾.

والبر سعة الخير والمعروف، ويتناول كل خير⁽⁷⁾.
وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ خرج مخرج الاستفهام، ومعناه التوبيخ، و«البر» يجمع وجوه الخير والطاعات

(1) سورة آل عمران، الآية 92.

(2) سورة المائدة، من الآية 3.

(3) ينظر: أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (ت: 450 هـ)، نشر: دار مكتبة الحياة، (د. ت. ط)، 1986 م، (182 - 183). والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (6/47).

(4) ينظر: صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1997 م، (1/301).

(5) سورة المجادلة، من الآية 9.

(6) سورة البقرة، الآية 44.

(7) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، (1/133).

(8) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت: 875 هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 - 1418 هـ، (1/228).

(9) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390 هـ)، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة، (1/79).

(10) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (ت: 1332 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418 هـ، (1/300).

من ذنب البخيل أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾⁽⁶⁾، كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع. وقيل: هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها محتسبا صادقا⁽⁷⁾

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾⁽⁸⁾، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بأركانها، وشروطها، ومكملاتها، ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصا لوجه الله، من نية صادقة، وتثبيت من النفس، ومال طيب، ويدخل في هذا، الصدقة الواجبة؟ والمستحبة، ثم حث على عموم الخير وأفعاله فقال: ﴿وَمَا تُقْرِضُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ الحسنه بعشر أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة⁽⁹⁾. وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽¹⁰⁾ فإيتاء الزكاة هو في الواجب، وهذا القرض هو في المندوب. ونبه على الصدقات المندوبة بذكرها فيما يترتب على المجموع تشريفا وتعظيما لموقعها من النفع المتعدي⁽¹¹⁾.

(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي، (3 / 494).

(6) سورة الحديد، الآية 18.

(7) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (17 / 252).

(8) سورة المزمل، من الآية 20.

(9) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 894)

(10) سورة المائدة، من الآية 12.

(11) البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي، (4 /

المطلب الثالث:

تسميته بالقرض الحسن

القرض في اللغة: القطعُ قرضه يقرضه بالكسر قرضاً، والقرض ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه وجمعه قروض، وهو ما أسلفه من إحسانٍ ومن إساءة، واستقرضتُ من فلان، أي: طلبت منه القرض فأقرضني، وأقرضتُ منه، أي: أخذت منه القرض، وقرضته قرضاً، وقارضته، أي: جازيته⁽¹⁾

وقد حفلت آيات القرآن وفي أكثر من موضع بما يشحذ همم المقرضين ويقوي عزائمهم لينالوا الخير والبركات، والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، ومضاعفة الأجور، بما يتطوعون به ابتغاء رضوان الله عزوجل.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾⁽²⁾، أي: من هذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين مضعفا، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقترا؟ وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾ أي: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بنية وإخلاص، وذكر القرض تطف في الاستدعاء ﴿يَضَعِفُهُ لَكُمْ﴾ يكتب لكم بالوحدة عشراً أو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يقبل القليل ويعطي الجزيل ﴿حَلِيمٌ﴾ يقبل الجليل

(1) ينظر: لسان العرب: لابن منظور، باب قرض، (7 / 216).

(2) سورة البقرة، من الآية 245.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (ت: 310 هـ)،

تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط1،

1420 هـ / 2000 م، (5 / 282).

(4) سورة التغابن، الآية 17.

حولاً وكل قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشرح الصدر، منقادين لما أمر الله به.

ثم وصفهم ربنا ﷻ بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿مُحْسِنِينَ﴾ وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، بأن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم، ولإحسان إلى عباد الله ببذل النفع والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو غير ذلك من وجوه الإحسان وطرق الخيرات. حتى إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين، والإحسان إلى المماليك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة⁽⁵⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿مُحْسِنِينَ﴾ إشارة إلى ثمنها أي: أخذوها وملكوها بالإحسان كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحْسَنِيَّ وَزِيَادَةً﴾⁽⁶⁾ بلام الملك وهي الجنة⁽⁷⁾.
أي: أن هؤلاء كانوا في دار الدنيا محسنين في الأعمال⁽⁸⁾.

وفي تفسير الإحسان الوارد في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ مَنْ أَسَاءَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾⁽⁹⁾ أنها جملة حالية ومعناها: أنه متلبس بالإحسان لا يصدر عنه غيره⁽¹⁰⁾.
والإحسان مرتبة عالية من بلغها علم فضلها، وأدى

(5) ينظر: المصدر السابق، (ص: 808).

(6) سورة يونس، من الآية 26.

(7) مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (1421 هـ / 2000 م)، ط 1، (28 / 173).

(8) ينظر: صفوة التفاسير: للصابوني، (3 / 234).

(9) سورة البقرة، الآية 112.

(10) ينظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي، (1 / 564)، وزهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت: 1394 هـ)، نشر: دار الفكر العربي، (1 / 367).

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾⁽¹⁾، قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في سبيل الله، وقيل: هو النفقة على العيال والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة، دخل في عموم هذه الآية⁽²⁾.

المطلب الرابع:

صفة الإحسان في العمل التطوعي

من أبرز الصفات التي حثنا ربنا جل في علاه، ورسوله ﷺ على التحلي بها صفة الإحسان، بأنواعه وأشكاله، في العبادة، في العمل، مع الأسرة، وغير ذلك من أبواب الإحسان الواسعة، فكانت النتيجة تستحق هذا العطاء؛ لأن المتقين لا ينفكون عن هذه الصفة التي امتدحها الله سبحانه وتعالى في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمْتِّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَجُودِينَ ﴿١٥﴾ ءَأَخْزِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾⁽³⁾.

﴿إِنَّ الْأَمْتِّقِينَ﴾ أي: الذين كانت التقوى شعارهم، وطاعة الله دثارهم، ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ مشتملات على جميع أصناف الأشجار، والفواكه، مما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على قلوب العباد ﴿وَجُودِينَ﴾ سارحة، تشرب منها تلك البساتين، ويشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيراً⁽⁴⁾.

﴿ءَأَخْزِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلاً ولا يبيغون عنه

(1) سورة الحديد، الآية 11.

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (8 / 14).

(3) سورة الذاريات، (15 - 16).

(4) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لابن سعدي، (ص: 808).

حقها، قال تعالى:

وقد جاء المتصدق والمصدق في القرآن العظيم:
﴿ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ ﴾⁽⁶⁾. و ﴿ الْمُصَّدِّقِينَ
وَالْمُصَّدِّقَاتِ ﴾⁽⁷⁾ وأما المصدق بتخفيف الصاد: فهو الذي
يأخذ صدقات النعم⁽⁸⁾.

﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾⁽¹⁾ يقول: وأحسن في
الدنيا إنفاق مالك الذي آتاك الله، في وجوهه، وسبله،
كما أحسن الله إليك، فوسع عليك منه ما ليس لك فيه
حول ولا قوة، وبسط لك فيه ما يسد حاجتك⁽²⁾. ومن
هذا الإحسان: الحديث: (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد
الله كأنك تراه)⁽³⁾.

والصدقة في الاصطلاح: ما يخرج الإنسان من
ماله على وجه القرية كالزكاة، والفرق بينهما أن الصدقة
في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقد
يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق في
فعله⁽⁹⁾ (والصدقة: هي العطية تتبغى بها المثوبة من الله
تعالى)⁽¹⁰⁾.

وأورد القرطبي أن الإحسان في الآية هو أمر بصلة
المساكين، وقال ابن العربي: أن في الإحسان أقوال كثيرة
جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله⁽⁴⁾.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الصدقة من صفات
عباده المقربين المتقين الذين تشملهم العناية الإلهية فقال
جل في علاه: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾⁽¹¹⁾
أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى
غيره ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه،
والفتوة أن يكون سعيك لغيرك، وكل أصناف الإحسان
ينطبق عليها لفظ الصدقة.
وأما المعروف: فكل حسن في الشرع فهو معروف،
ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قرينة
إلى الله⁽¹²⁾.

المطلب الخامس:

تسمية العمل التطوعي صدقة

ومن مكانة العمل التطوعي أن جعله ربنا تبارك
وتعالى من أبواب الصدقات وهذا باب لا ينضب الخير
منه، وقد سبق تعريف الصدقة في الألفاظ ذات الصلة
ولا بأس بإعادته لأهميته، والصدقة لغة: جمع صدقات،
وتصدق: أعطيت صدقة، والفاعل مُتصدق، وهو
الذي يُعطي الصدقة، ومنهم من يخفف بالبدل
والإدغام فيقال: مُصدق، والمتصدق: المُعطي، وفي
التنزيل ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾⁽⁵⁾

- (1) سورة القصص، من الآية 77.
- (2) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (19 / 625).
- (3) ينظر: صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر
من أمور رسول الله - وسننه وأيامه، نشر: دار ابن كثير،
اليمامة - بيروت، ط 3، 1407 - 1987، تحقيق: د.
مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة
- جامعة دمشق، عدد الأجزاء: 6، كتاب الإيمان، باب
سؤال جبريل النبي - عن الإيمان والإسلام والإحسان
وعلم الساعة وبيان النبي - له، (1 / 27)، برقم 50.
- (4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، (13 / 315).
- (5) سورة يوسف، من الآية 88.
- (6) سورة الأحزاب، من الآية 35.
- (7) سورة الحديد، من الآية 18.
- (8) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن
محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (ت: نحو
770هـ)، نشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 2،
(1 / 335).
- (9) ينظر: المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني،
(ص: 480).
- (10) التعريفات: للجرجاني، (ص: 132).
- (11) سورة النساء، الآية 114.
- (12) ينظر: لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد

وبعض من يدخلون في النوايا؛ فنجد القرآن يتصدى لمثل هؤلاء في مواضع عدة منها: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ .

أي: الذين يلّمزون المطّوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة، بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: إنما تصدقوا به رياءً وسُمعة، ولم يريدوا بها وجه الله ويلّمزون الذين لا يجدون ما يتصدّقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فينتقصون منهم بقولهم: «لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً!»⁽⁶⁾.

عن أبي مسعود⁽⁷⁾ قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبو عقيل⁽⁸⁾ بنصف صاع وجاء إنسان بأكثر منه،

جميعاً، العين: للخليل، (4 / 196)، وأصل سخرت منه التسخير وهو تذلّل الشيء وجعلك إياه منقاداً فكأنك إذا سخرت منه جعلته كالمنقاد لك، الفروق اللغوية: للعسكري، (ص: 255). وسخرت منه، واستسخرته للهزء منه. المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، (ص: 402).

(6) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، (14 / 381 - 382).

(7) هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة أبو مسعود الأنصاري النجاري البدري شهد العقبة وهو صغير، وروى عن النبي ﷺ، توفي أيام علي في المدينة، وقيل في الكوفة، نحو 40 هـ. ينظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد، (6 / 94)، والتاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (ت: 256 هـ)، طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (6 / 429)، وتهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت: 852 هـ)، نشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، 1326 هـ، (7 / 247).

(8) رجل من الأنصار يقال له الحبحاب، أبو عقيل الأنصاري، ويحتمل أن يكون اسم أبي عقيل سهل ولقبه حبحاب، ينظر:

وعلى هذا فإن ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ واجبة أو تطوعية، فله مثل أجره، ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وهو: ما يستحسنه الشرع، ويوافق العقل، كالقرض، وإغاثة الملهوف، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وغير ذلك من أنواع المعروف ﴿أَبْتَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مخلصاً لله في نيته؛ لأن الأعمال بالنيات ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ جزاء ما قدّم من معروف⁽¹⁾.

وقال تعالى في سياق المكافئات الإلهية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾ خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي: هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة⁽³⁾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾ خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي: هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة⁽³⁾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

المطلب السادس:

ذم السخرية من عمل المتطوعين

ان المتبع للآيات التي ذكرت التطوع باختلاف مواضعها في القرآن الكريم يظهر له جلياً عناية القرآن الكريم بالمتطوعين، ودفاعه عنهم مما يتلقونه من التشويه والإساءة والسخرية⁽⁵⁾ من قبل المنافقين والمستهزئين،

الملك القشيري، (ت: 465 هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط 3، (1 / 363).

(1) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، (2 / 141).

(2) سورة الأحزاب، الآية 35.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (6 / 421).

(4) سورة الحديد، الآية 18.

(5) سخر منه وبه، أي: استهزأ. والسخرية: مصدر في المعنيين

فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رثاء فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁾.

فهؤلاء المنافقون لا يسلم أحد من قولهم، ولمزهم، في جميع الأحوال، ولا حتى المتصدقون في سبيل الله يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بهال جزيل قالوا: هذا مرء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا⁽²⁾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، أي: طاقتهم، يعني: أبا عقيل، والجهد: الطاقة، بالضم لغة قريش وأهل الحجاز. وقرأ الأعرج بالفتح. والجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزئون بهم، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، أي: جازاهم الله على السخرية، هذا⁽²⁾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، أي: طاقتهم، يعني: أبا عقيل، والجهد: الطاقة، بالضم لغة قريش وأهل الحجاز. وقرأ الأعرج بالفتح. والجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزئون بهم، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، أي: جازاهم الله على السخرية، هذا⁽²⁾.

المطلب السابع: ذم المانعين للتطوع

ووصفهم بالتكذيب بيوم الدين

من كمال عناية القرآن الكريم بالمتطوعين حفظ كرامتهم، وردع من يحاول المساس بهم، من خلال بيان منزلتهم، وذم من يمنع التطوع، أو يعيب على المتطوعين ما يقومون به من الأعمال الخيرية، ففي التنزيل: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾⁽⁶⁾ والماعون: (اسم جامع لمنافع البيت كالفقر، والفأس، والقصعة، ونحو ذلك مما جرت العادة بإعارته). (والانقياد والطاعة والماء والمعروف والزكاة)⁽⁷⁾.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو

(3) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبخاري، (2 / 374).
(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16، (5 / 336).

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 346).
(6) سورة الماعون، الآية 7.

(7) المعجم الوسيط، (2 / 878).

أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (ت: 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية، ط1، (1415 هـ - 1994 م)، (1 / 667)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ت: 852هـ)، نشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (8 / 331).

(1) ينظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة التوبة، باب قوله ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (4 / 1714) برقم 4391، وصحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 5، كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة يتصدق بها، والنهي الشديد عن تقيص المتصدق بقليل، (2 / 706)، برقم 1018.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (4 / 184).

بعض النتائج:

1. العمل التطوعي سبب من أسباب الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾، كما أنه سبب في محبة الله ﷻ، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾⁽⁴⁾.
2. تنوع الأساليب في القرآن الكريم للتعبير عن العمل التطوعي، كالعمل الصالح، والبر، والخير، والإحسان، والقرض الحسن، وغير ذلك
3. لا يمكن الإستغناء عن العمل التطوعي بكل أنواعه، وتزداد الحاجة اليه تبعاً للزيادة السكانية، فيكون بذلك عوناً للحكومات في سد بعض ما تتلكؤ الحكومات به؛ لأن يقوم المتطوع يقوم بعمله بدون أجر مادي
4. المشاركة في الأعمال الخيرية مطلب ديني، كما أنها حاجة إنسانية وضرورة اجتماعية
5. توعية الجيل المسلم بفضل الأعمال التطوعية، ويكون ذلك من فترة الطفولة مروراً بالمدرسة وإضافة ذلك في المناهج المدرسية من خلال العمل على تضمين المناهج الدراسية، خاصة في مراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية بعض القيم الاجتماعية والإنسانية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي، ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية؛ مما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب مثل حملات تنظيف المدرسة أو العناية بأشجار المدرسة أو خدمة البيئة.

ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به

فهؤلاء - لشدة حرصهم - يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه، وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك، وعلى الإخلاص في جميع الأعمال.

والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك⁽¹⁾.

وقيل في الماعون: (الزكاة لقلتها، والماعون: القليل، والماعون: المال في لغة قريش. وقيل: هو ما يعين على أي عمل، ومنه الدلو والفأس والإبرة والقدر، ونحو ذلك. وإذا كان السهو عن الصلاة يحتمل على منع الماعون، فإن من يمنع الماعون وهو الآلة أو الإئاء يقضي به الحاجة ثم يُردُّ كما هو بدون نقصان، فلأن يمنع الصدقة أو الزكاة من باب أولى)⁽²⁾.

وهذه الآيات فيها ترهيب لمن لا يتطوعون وفي مقدورهم ذلك، بأن هذا العمل مخالفة صريحة لأوامر الله، مع ما يفوت الممتنعين من الخير والسعادة والأجر العظيم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي وفقني لإكمال ما بدأت به، فلك الحمد يارب عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 935).

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، (1415هـ - 1995م)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (9 / 118).

(3) سورة الحج، من الآية 77.

(4) سورة مريم، الآية 96.

طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن،
طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

8. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل
الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر
بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت:
1393هـ)، نشر: الدار التونسية للنشر - تونس،
1984 هـ، عدد الأجزاء: 30 (الجزء رقم 8 في
قسمين).

9. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف
الجرجاني، (ت: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه
جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر: دار الكتب
العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.
10. تفسير الشعراوي - الخواطر، لمحمد متولي
الشعراوي، (ت: 1418هـ)، نشر: مطابع أخبار
اليوم، عدد الأجزاء: 20، (ليس على الكتاب
الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة
أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام
1997م).

11. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد
بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء
الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (ت:
1354هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة
النشر: 1990م، عدد الأجزاء: 12 جزءاً.

12. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن
عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:
774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار
طبية للنشر والتوزيع، ط2، (1420هـ - 1999م)،
عدد الأجزاء: 8.

13. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس
الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، نشر: دار الفكر
العربي - القاهرة.

14. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)،
لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ
الدين النسفي، (ت: 710هـ)، حققه وخرج

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد
بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير
بالموردي، (ت: 450هـ)، نشر: دار مكتبة الحياة،
(د.ت.ط)، 1986م، (182 - 183).

2. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد
الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير،
(ت: 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل
أحمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية، ط1،
(1415هـ - 1994م).

3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد
الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي
(ت: 1393هـ)، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر -
بيروت، (1415هـ - 1995م)، تحقيق: مكتب
البحوث والدراسات.

4. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف
بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي،
(ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر:
دار الفكر - بيروت، 1420هـ.

5. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس
أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني
الأنجري الفاسي الصوفي، (ت: 1224هـ)، تحقيق:
أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن
عباس زكي - القاهرة، 1419هـ.

6. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن
محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب
بمرتضى، الزبيدي، (ت: 1205هـ)، تحقيق:
مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية، عدد
الأجزاء/ 40.

7. التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (ت: 256هـ)،

- دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: 10.
22. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، نشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط3، 1407 - 1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، عدد الأجزاء: 6.
23. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 5.
24. صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء: 1.
25. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، (ت: 230هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1410 هـ - 1990 م.
26. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ت: 852هـ)، نشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي
27. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: 1250هـ)، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.
28. الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي، (ت: 684هـ)، نشر: عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 4، (1 / 117).
- أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
15. تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت: 852هـ)، نشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.
16. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، نشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ / 2000 م، عدد الأجزاء: 1.
17. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط1، (1420 هـ - 2000 م)، عدد الأجزاء: 24.
18. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، (1384 هـ - 1964 م)، عدد الأجزاء: 20 جزء (في 10 مجلدات).
19. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 - 1418 هـ.
20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16.
21. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت: 1394هـ)، نشر:

29. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت: 170هـ)، نشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، عدد الأجزاء: 8.
30. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت: 538هـ)، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4.
31. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، (ت: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.
32. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت: 711هـ)، نشر: دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.
33. لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3.
34. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418 هـ.
35. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ.
36. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (ت: نحو 770هـ)، نشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 2.
37. معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 5.
38. المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، نشر: دار الدعوة.
39. مفاتيح الغيب، للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1421هـ / 2000 م، ط1، عدد الأجزاء: 32.
40. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.
41. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 1.
42. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (1415هـ - 1994م)، عدد الأجزاء: 4.